"السعادة" في اللغة العربية دراسة لسانية إدراكية

دكتورة/ جنان عبد العزيز التميمي

أستاذ مساعد – جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

مقـــدمـــة:

تتطلع دراسة مفهوم السعادة في اللغة العربية إلى اكتشاف البنـاء المفـاهيمي للسعادة في الاستعارات اللغوية. وذلك من خلال نصوص مختارة مـن اللغـة العربيـة وتحليلها؛ للوصول إلى أهم الأبعاد الحسية التي يستمد منهـا العربـي تعبيراتـه عـن السعادة. وذلك بالاعتماد على النظرية القائلة إن الاستعارة لا تقتصر على اللغـة فقـط، بل توجد في طريقة التفكير عند الإنسان وفي الأعمال التي يقوم بها. وإن طبيعة التفكير والسلوك البشري له نسق استعاري يقوم عليه في كل لغة أو كل ثقافة.

تجيب هذه الدراسة عن التساؤلات التالية: هل بناء مفهوم السعادة أو الفـرح استعاريا يعتمد فقط على تجربتنا الفضائية؟ هل هناك مجـالات أخـرى مـستمدة مـن تجربتنا الحسية يعبر بها العربي استعاريا عن السعادة؟ ويرصـد البحـث الاسـتعارات الاتجاهية المتعلقة بمفهوم السعادة والمرتبطة بالاتجاه الفضائي (عال–مـستفل–أمـام – وراء)، وتمثيل السعادة في بُعد تشخيصي (السعادة/إنسان).وأيضا السعادة اسـتنادا إلـى التجارب الحسية نحو: تجربة الألوان: (السعادة ألوان/الشقاء بلا لون)، واسـتنادا إلـى تجربة النور: (السعادة نور/الشقاء ظلام)، واستنادا إلى تجربة الطعام: (السعادة طعـام لذيذ/الشقاء طعام مرّ). أومن مجالات مستمدة من الثقافة الحديثة عنـد العـرب نحـو : (تقنيات، وفنون، وصناعة). وينتهي البحث إلـى إن التعبيـر عـن الـسعادة بطريقـة استعارية ليس مجرد طريقة جمالية للتعبير، وإنما هي الوسيلة الوحيدة المتاحة للتعبيـر باللغة عن مفهوم السعادة باستخدام مجالات أخرى محسوسة.

والبحث في مفهوم السعادة في التعبيرات الاستعارية في اللغة العربيـة ميـدان لـم يطرق بعد بمنهج اللسانيات الإدراكية. وقد اعتمد البحث على التعبيرات الـشائعة عـن السعادة في كلام العرب، وقد سلطت الضوء على التعبيرات الاسـتعارية فـي مفهـوم السعادة في عناوين بعض الكتب المطبوعة حديثا التي كان موضوعها عـن الـسعادة،

يضاف إلى ذلك بعض التعبيرات الشائعة والنصوص المختارة، وبعضُ الشَّواهد الشّعريّة المستخرجَة من الموسوعة العالمية للشعر العربي وأشرت لها في الهامش (م.أ).

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن ينبني البحث على ثلاثة محاور، تكون لحمته بما يشتمل عليه من عناصر فرعية، وهي؛ المحور الأول: ويتناول السعادة والبعد المكاني، والمحور الثاني: ويتناول السعادة والبعد اللوني، والمحور الثالث: فينهض بدراسة السعادة والبعد التجسيدي والتشخيصي.

تمهيـــــــــــد:

من الصعوبة بمكان وضع حدود واضحة لمفهوم السعادة، أو تعريفها بتعريف واحد متفق عليه، وكثيرا ما يخلط بين مفهوم السعادة واللذة، فالسعادة حالة مستقرة ودائمة، لكن ما نستطيع عادة تحقيقه هو تحقيق لذّات ورغبات ما تفتأ تزول، أو تنتهي في الزمن. لكن، قد يؤدي اعتبار السعادة حالة دائمة إلى جعلها حالة مستحيلة. والحقيقةُ أنّ السعادةَ في طريقة تدبير رغباتنا. ولأن كل رغبة تولد من نقص، من حالة عدم الإرضاء، ومن ثم فهي في الأصل معاناة، وكل إرضاء هو انطلاق لرغبة جديدة ولمعاناة أخرى وهكذا دواليك، ذلك أن أي إرضاء تام، يعني نزع الحافز نحو الرغبة.(١)

يشير جورج لايكوف إلى أن بناء مفهوم السعادة أو الفرح استعاريا يعتمد على تجربتنا الفضائية وذلك باعتبارنا كائنات تحددنا الاتجاهات كالأعلى والأسفل، واليمين واليسار، والمركز والهامش... وعليه فإننا نبني مفهوم السعادة استنادا إلى تجربة العلا، ونبني مفهوم الشقاء استنادا إلى تجربة الدنو لنحصل على الاستعارة السعادة فوق/الشقاء تحت. وهذا النوع من الاستعارات الإدراكية يطلق عليه اسم الاستعارة الاتجاهية.(٢) وفي تعبيراتنا الشائعة في اللغة العربية نقول: "أشعر أنني في قمة السعادة" و " ارتفعت معنوياتي اليوم" و" فلان طائر من الفرح".

إن أصل المعرفة عن الإنسان حسي تجريبي وإن التعبيرات اللغوية عند الإنسان مبنية على التصور التجريبي بالضرورة. واللسانيات الإدراكية Cognitive Linguistics تتجاوز بنية اللغة الشكلية لتخترق أعماق صورها الإدراكية التي تتمثل في عقل الإنسان حينما يجسّد ألفاظ المفاهيم المجرّدة.

واللسانيات الإدراكية تبحث في العلاقة بين الثقافة واللغة والإدراك، وهي تعالج اللغة باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من الثقافة والمعرفة. وتعتمد اللسانيات الإدراكية على البحث عن دلالة اللغة في الأسس الإدراكية والتجريبية التي تسهم في تجسيد الفكر واللغة. وإن مشاعر السعادة/الفرح استجابات سلوكية يؤثر فيها الإدراك والخبرة الحسية، وما هو مقبول اجتماعيا في وسط ثقافي قد يكون مرفوضا في وسط ثقافي آخر. مثل: فقدان السيطرة على الجسد للتعبير عن السعادة، أو الشعور بالخفة أو الطرب والتعبير عنها رقصا. وبذلك نرى أن الشعور بالسعادة قوة طبيعية تسيطر عليها

مؤثرات ثقافية أو اجتماعية. واللغة التي نستخدمها لنعبّر بها عن السعادة تكشف لنا الطبيعة التي نفكر بها عن السعادة أو الفرح.

نحن البشر لسنا مجرد كائنات بيولوجية؛ فلدينا هوية ثقافية واجتماعية، ولغتنا من بين أهم ما يكشف عن هويتنا حيث المعنى اللغوي المتجذّر في التجربة الحسية. وليست اللغة وحدة مستقلة ومنفصلة عن مظاهر السلوك الأخرى للإنسان، فهي تعكس تجربتنا الحسية الشاملة بوصفنا بشرا؛ كما أن المعنى اللغوي ليس منفصلا عن غيره من أشكال المعرفة، وكل تصورنا للعالم من حولنا يأتي عبر تجربتنا الحسية بأجسادنا. ووجهات النظر التي نستخدمها لتصوّر المشاهد التي نمرّ بها تنبع من حقيقة امتلاكنا لحاسة النظر الطبيعية. وعن طريق امتلاكنا لهذه الحاسة ورؤية ما حولنا نحدد مكاننا واتجاهنا بالنسبة إلى الكائنات الأخرى الموجودة في العالم من حولنا.[٣] ولذلك نعتمد في حديثنا مبدأ (الإشارية indexicality) في اللغة؛ بمعنى أننا نستطيع أن نحدد مكان الأشياء من حولنا حسب ما تعنيه لنا أو بحسب أهميتها بالنسبة إلينا؛ حيث نعتبر أنفسنا مركز الكون، وكل شيء من حولنا نراه حسب وجهة نظرنا. وهذه النظرة الذاتية للعالم من حولنا تظهر في استخدامنا للغة.[٤]

ومما يدفع اللسانيين لدراسة اللغة بهذا المنهج السعي لفهم الإدراك البشري والكيفية التي يعمل بها عقل الإنسان؛ إذ إن اللغة تكشفُ عن القدرات العقلية للبشر. ويعتمد اللسانيون على ما تخبره اللغة عن نفسها، وبعبارة أخرى: إن اللغة العادية التي يتحدثها الناس كل يوم تشكل عند اللسانيين (المادة الخام) التي يستخدمونها لبناء نظريتهم اللسانية.[٥]

و"تقدم اللسانيات الإدراكية ثلاث فرضيات يسترشد بها الإطار اللساني الإدراكي في التعامل مع اللغة وهي:

أ ــ اللغة ليست قدرة إدراكية مستقلة.

ب ــ النحو عملية صناعة للمفاهيم (Conceptualization) مما يعني أن اللغة رمزية بطبيعتها.

ج ــ المعرفة باللغة تأتي من الاستعمال اللغوي.

وهذه الفرضيات الثلاث تمثل رد اللسانيات الإدراكية على النحو التوليدي الذي يفصل بين الملكة الإدراكية والقدرات الإدراكية غير اللغوية، وكذلك هي رد على علم الدلالة

المشروط بالصدق والذي يقيم ماوراء اللغة دلاليا استنادا إلى صدقها أو كذبها بالنسبة للعالم.(٦)

وتُطلق اللسانيات الإدراكية على مجموعة من النظريات التي تشترك في الأسس والمنطلقات؛ ولكنها مختلفة متنوعة متداخلة في بنائها ومشاغلها وتوجهاتها ومجالات العناية فيها، وهي تنقسم اتجاهين كبيرين متصارعين: النحو الإدراكي والنحو التوليدي في آخر تطوّر له. وقد نهضت اللسانيات الإدراكية على نقض تيارات سابقة نقضا منهجيا، فكان الخروج على المنهج الإجرائي القائم على الوصف البنيوي والتوزيعي وعلى المنهج الشكلي. والمنهج المنطقي القائم على شروط الصدق أو الشروط الضرورية والكافية.(٧)

وفي هذا السياق كان طرح لايكوف وجونسون لنظرية (الاستعارة الإدراكية) في كتابهما المشترك (الاستعارات التي نحيا بها) عام ١٩٨٠م بداية لانطلاق البحث حول فرضيتهما القائلة بأن "الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية. إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضاً. إن النسق التصوري العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس". وهنا لا بد من الإشارة إلى مفهوم رئيس هو مفهوم (الاستعارة التصورية) conceptual metaphor الذي يُطلَق على "طريقة بناء معرفة أحد المجالات من خلال تصويره بمفاهيم وعلاقات مستمدة من مجال موجود ومعروف من قبل مثل بناء مفهوم [الجدل] عن طريق تصويره بمفهوم [الحرب]: (انتصار/هزيمة)، وبناء مفهوم [التفكير] عن طريق تصويره بمفهوم [الحركة]: (سمو/هبوط / جريان الفكر) إلخ. ولقد أُطلِق على المجال الأول تسمية (المجال/الهدف the target)، وعلى المجال الثاني تسمية (المجال/المصدر the source)(٨)

يأتي هذا البحث محاولة لاستكشاف الأبعاد الإدراكية التي ينطوي عليها التعبير عن السعادة والشقاء في اللغة العربية. وبصياغة أخرى إنه محاولة للكشف عن كيفية تعبير اللغة العربية عن مفهوم (السعادة والشقاء) وبنائه عن طريق تصوره بمفاهيم إدراكية أخرى. وينقسم البحث إلى أربعة أبعاد يتشكل وفقها مفهوم السعادة؛ أولها: السعادة والبعد المكاني، وثانيها: السعادة والبعد اللوني، وثالثها: السعادة والبعد التشخيصي، وآخرها السعادة والبعد التجسيدي.

١ – **السعادة والبعد المكاني:**

يُبنى مفهوم السعادة (المجال/الهدف the target) من خلال تصويرها بمفاهيم وعلاقات مستمدة من مجال المكان(المجال/ المصدر the source) حيث تكون السعادة مكانا واسعا ممتدا يكون الإنسان فيها، (السعادة واسعة/ الشقاء ضيق) في تعبيرات من قبيل: "انفرجت أساريره" و "وسّع الله عليه" عند الحديث عن السعادة، أو"ضاقت به الدنيا" و "ضيقة الصدر" عند الحديث عن الشقاء والحزن.

أو قد تكون بناء يمثل في قصر منيف أو مدينة واسعة بعيدة لا يملك مفتاحها إلا من يتصف بأوصاف خاصة وهو قادر على مشقة طريق الوصول لها؛ يقولون: "**طريق السعادة**" و"**عقبات في طريق السعادة**" و"حتى **يبلغ السعادة**" و "**الطريق المؤدي إلى السعادة**" و"**الدليل إلى السعادة**" "والله يعضّدك بالتوفيق، **ويمهّد لك إلى السعادة أسهل طريق**"[٩] والسعادة قصر أو منزل له مفتاح يُقال: "**مفتاح السعادة**" ، و"**قصر السعادة**".

ومن تصوير السعادة بمفاهيم أو علاقات مستمدة من مجال المكان المفتوح الممتد قولهم: "**مدّ الله لكم في السعادة**" وقولهم:" كان **في سرور**". وفي قوله:"وهيّأ للمعتمد به **مغدى في السعادة ومراحا**، وهزّ منه سيفا عتيقا يفوق اختيارا ويروق التماحا، وولّاه رياسة الجهاد في القطر الذي تقدّمت الولاية فيه لسلفه فنال عزّا شهيرا وازداد فخرا صراحا، وكان له ذلك **إلى أبواب السعادة مفتاحا**." وفي بداية المقولة المعتمد له غدو ورواح في السعادة المتمثلة كالمكان ثم نال مفتاح أبواب السعادة بشجاعته في الجهاد.[١٠]

وفي تمثيل السعادة بناء له باب يفتحه شخص لآخر يقول محمد الجواهري:

افتحي لي بابَ السرور فقد سُدَّ وبابُ السرور لي شفتاك

وربما تتمثل السعادة داخل تصور مفهوم الزمن مكانيا، فهي شيء يدرك داخل الزمن وبذلك ينتظم لنا نسق من التصورات المتعالقة التي لاتعتمد على تصور واحد فقط بل على مجموعة من التصورات؛ وذلك في مثل قول نازك الملائكة:

كيف مرت أيّامهم ليت شعري ؟ أترى **أدركوا السعادة فيها؟**

وتقول نازك الملائكة في قصيدة بعنوان (البحث عن السعادة):

قد **بحثنا عن السعادة لكن ما عثرنا بكوخها المسحور**

فالسعادة كوخ مسحور بحثت عنه في كل مكان ولم تجده، وفي طريق بحثها عنها تمرّ على الأيام والليالي متمثلة في بُعد تشخيصي وتسألها عن كوخ السعادة :

أبدا **نسأل الليالي عنها** وهي سرّ الدنيا ولغز الدهور

والبحث عن السعادة في التعبيرات اللغوية صورة مستمدة من المكان يكشف عن الطريق إليها بخرائط مختلفة، أو أنها كنز أو شيء ثمين له خريطة تحدد الطريق الموصل إليها وقلما من يعرفها.

و"لعل السعادة مثل الحقيقة، ليس مهما بلوغها بل الأهم هو البحث الدائم عنها، فما يجعلنا سعداء هو البحث عن السعادة."(١١). وإذا لم تكن السعادة موجودة على الأرض متمثلة في مكان، أو طريق ما، أو قصر، أو كوخ مسحور، فإنها تتمثل في الانطلاق نحو الأعلى في تعبير استعاري آخر.

إن النظر إلى السعادة استعاريا بوصفها شيئا موجودا في الأعلى ترتبط بها تعبيرات متعلقة بـ(التحليق والطيران والارتفاع والبناء). وبالمقابل بالنظر إلى الشقاء استعاريا بوصفه شيئا موجودا في الأسفل وترتبط به تعبيرات متمثلة في (الهبوط والانحدار والتحطيم والإحباط).

بناء مفهوم (السعادة) عن طريق تصويره بمفهوم (الحركة) وهذه الحركة تتجه للأعلى أو نحو الأمام في طريق ممتد باتجاه المكان الذي توجد فيه السعادة وقد يكون تصويره بحسن إدارة هذه الحركة والتحكم في طريقة سيرها وجريانها ويطلق على المجال الأول (الهدفthe target)، وعلى المجال الثاني (المصدر the source). وفي التعبير عن السعادة ينتظم لنا نسقٌ من التصورات المتعالقة التي لاتعتمد على تصور واحد فقط بل على مجموعة من التصورات؛ واستعارة الارتفاع إلى الذروة هنا ليست استعارة اعتباطية أو بعلاقة الشبه فقط وإنما أساس هذه الاستعارة موجود في تجربتنا الفيزيائية والثقافية، وذلك مرتبط بالاتجاه الفضائي من هيئة جسد الإنسان الذي يمشي منتصبا وعلاقته بمحيطه الفيزيائي. واستعارة الارتفاع إلى الذروة هنا ليست استعارة اعتباطية أو بعلاقة الشبه فقط وأساس هذه الاستعارة موجود في تجربتنا الفيزيائية والثقافية. واستعارة الارتفاع إلى الذروة هنا ليست استعارة اعتباطية أو بعلاقة الشبه فقط وإنما أساس هذه الاستعارة موجود في تجربتنا الفيزيائية والثقافية. ومشاعر السعادة تمثل

كثيرا في اللغة العربية بارتفاع درجة مشاعر الفرح أو البهجة من صورة ارتقاء سلّم يوصلنا إلى مكان موجود في الأعلى، يقول المقري في وصف حب الله:

"وعنّ لي أن أذهب بهذا الحب المذهب المتأدي إلى البقاء، **الموصل إلى ذروة السعادة** في معارج الارتقاء، الذي غايته نعيم لا ينقضي أمده، ولا ينفد مدده، ولا يفصل وصله، ولا يفارق الفرع أصله، حب الله المبلغ إلى قربه، المستدعي لرضاه"(١٢)

وفي قول إيليا أبو ماضي:

هي للجراحة مرهم ، **هي للسعادة سلّم** القلب إلاّ بالمحبّة منزل متردّم

أو التعبير عن السعادة بصور الطيران والتحليق؛ في مثل قول الشاعر:

"وأكاد **من فرط السرور أطير**" (١٣)

أو كما يقال في التعبير الشائع: "أشعر أني **في قمّة السعادة**"

الشعور بالخفة الذي يعتري جسد الإنسان حينما يشعر بالبهجة أو الفرح أو السعادة تجعل التعبير اللغوي عن السعادة ممثلا في الطيران أو الارتقاء أو الصعود كما في الأمثلة السابقة من اللغة العربية والتي تتطابق إلى حد ما مع التعبيرات الموجودة في اللغة الانجليزية والتي ذكرها جورج لايكوف(١٩٩٦م) في كتابه الاستعارات التي نحيا بها.(١٤)

٢ – <u>السعادة والبعد اللوني:</u>

عند البحث عن مفردة (السعادة) أو (البهجة) في المعاجم العربية القديمة نجد الجذر اللغوي لهاتين المفردتين مرتبطتين بأمرين يدخلان السرور على قلب العربي في الصحراء وهما : الماء وألوان النباتات. ينقل ابن منظور في لسان العرب: " سَوَاعِدُ الْبِئْرِ: مَخَارِجُ مَائِهَا وَمَجَارِي عُيُونِهَا. وَالسَّعِيدُ: النَّهْرُ الَّذِي يَسْقِي الأَرض بِظَوَاهِرِهَا إِذا كَانَ مُفْرِدًا لَهَا، وَقِيلَ: هُوَ النَّهْرُ، وَقِيلَ: النَّهْرُ الصَّغِيرُ، وَجَمْعُهُ سُعُدٌ...وقَوْلُهُ: مَا سَعِدَ مِنَ الْمَاءِ أَي مَا جَاءَ مِنَ الْمَاءِ سَيْحاً لَا يَحْتَاجُ إِلى دَالِيَةٍ يَجِيئُه الْمَاءُ سَيْحًا، لأَن مَعْنَى مَا سَعِدَ: مَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ."(١٥)

وهكذا نجد معنى (س ع د) الماء الذي يجري من دون دالية أيّ دون أي جهد بشريّ يجري الماء سيحا ويزرعون حوله، وفي الحديث الشريف: «كُنَّا نَكْرِي الْأَرْضَ بِمَا عَلَى السَّواقي وَمَا سَعِدَ مِنَ الماءِ فِيهَا، فَنَهَانَا رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ» أَيْ مَا جَاءَ مِنَ الْمَاء سَيْحا لَا يحتاجُ إِلَى دَالِيَةٍ.(١٦)

والبهجةُ: حُسْنُ لونِ الشَّيء، ونضارته. ورجلٌ بَهِجٌ. أي: مُبتهجٌ بأمرٍ يَسُرُّه، والمرأة بالهاء، وقد بَهِجَتْ بهجة وهي مِبْهاجٌ قد غَلَبَتْ عليها البَهْجة، [وقد تباهَجَ الرَّوضُ إذا كَثُر النَّوْرُ][١٧]. والبَهْجَةُ في الْإِنْسَان ضحك أسارير الْوَجْه أَو ظُهُور الْفَ.[١٨]

فالبهجة والسعادة تتمثل في ألوان خضرة الزرع وزرقة الماء وألوان الثمار، يقول تعالى في سورة الحج الآية رقم ٥: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ويقول القرطبي في تفسير "من كل زوج بهيج" أي من كل لون حسن.

ويقال أيضا: "ألوان السعادة" إشارة إلى تنوع صورها ولكن قولهم أن لها ألوان فذلك يعني ارتباط صورتها باللون وانعدامها بعدمه؛ فالسعادة لون والشقاء باهت بلا ألوان.

وقد يكون بناء مفهوم السعادة استنادا إلى تجربة النور: (السعادة نور/الشقاء ظلام). والظلام ليس إلا حالة غياب النور والظلام يعطّل حاسة البصر فيكون إدراك مايحيط بالإنسان مجهولا، والإنسان يخاف المجهول دائما، ومشاعر الخوف تتعلق بمشاعر الشقاء. يقول مراد ميخائيل في قصيدة بعنوان (ظلام الشقاء):

"**يا ظلامَ الشقاءِ زِدْني شقاءً**"

في حين ترتبط السعادة بالمعلوم والرؤية الواضحة التي يطمئن القلب لمعرفتها "**وتسطع أنوار السعادة** من آفاق كمالها"[١٩]

يقول المنفلوطي في العبرات في قصة اليتيم: "وَلَقَدْ عَقَدَ الْوِدّ قَلْبِي وَقَلْبهَا عَقْدًا لَا يُحلّهُ إِلَّا رَيْب الْمَنُون فَكُنْت لَا أَرَى لَذَّة الْعَيْش إِلَّا بِجِوَارِهَا **وَلَا أَرَى نُور السَّعَادَة إِلَّا فِي فَجْر ابتسامتها**...وَأَنِّي أَسْتَطِيع وَأَنَا **فِي الظُّلْمَة الْحَالكَة مِنْ الْهُمُوم وَالْأَحْزَان أَنْ أَرَى عَلَى الْبُعْد تِلْكَ الْأَجْنِحَة النُّورَانِيَّة الْبَيْضَاء مِنْ السَّعَادَة** الَّتِي كَانَتْ تُظَلِّلنَا مَعًا"[٢٠]

وكما نلاحظ في الصور الاستعارية المتعالقة في التعبير عن السعادة بالنور حيث تمتزج صورة النور وبياض ابتسامة الفتاة في بعد تشخيصي آخر إضافة إلى الصورة المستمدة من النور لتمثيل مفهوم السعادة مقابل الشقاء، والذي عبّر عنه بالظلام شديد السواد بالهموم والأحزان والسعادة فيها نور جناحي ملاك أبيض. وبذلك تكون السعادة هنا تستند إلى التجربة البصرية في رؤية (الظلام/ النور) يقابلها (الشقاء/ السعادة) أو مستمدة من رؤية اللونين (الأسود / الأبيض) يقابلها المجال الهدف (الشقاء/السعادة).

٣- <u>السعادة والبعد التشخيصي والتجسيدي:</u>

يبنى التصور الاستعاري للسعادة في اللغة العربية من بعد تشخيصي، تكون فيها السعادة كما لو كانت شخصا يُدخل السرور على قلب إنسان آخرُ أو يحيطه بأنواع الرعاية والعناية. في مثل قول الشاعر:

وإذا **السعادة لا حظتك عيونها** ... نم، فالمخاوف كلّهنّ أمان

واصطد بها العنقاء فهي حبائل ... واقتد بها الجوزاء فهي عنان(٢١)

ومن تمثيل مفهوم السعادة في بعد تشخيصي من صورة مستمدة لإنسان يُولد ويموت فالفرح له ميلاد وموت، يقول طريح بن إسماعيل الثقفي:

بان الخليطُ وفرقَ الشملُ ... وعلى التفرقِ ما بدَا الوصلُ

أبكاكَ منهم ما فرحتَ به ... **ولكلِّ مولدِ فرحةٍ ثكلُ**

والسعادة إنسان يضحك؛ قال مانع العتيبة:

ما الذي ابكي عيونا **ضحكت فيها السعادة**

وهذا النوع من الاستعارات التشخيصية يسمح لنا بفهم التجارب المتعلقة بمفهوم السعادة أو الشقاء عن طريق خصائص ونشاطات السلوك البشري. وبذلك تسمح لنا أن نعطي معنى للظواهر في هذا العالم عن طريق ما هو بشري. ونفهم هذه الظواهر اعتمادا على محفزاتنا وأهدافنا وأنشطتنا وخصائصنا. وبالنظر إلى مفهوم مجرد مثل السعادة عن طريق ما هو بشري له سلطة تفسيرية هي وسيلة مهمة لإعطائه معنى.(٢٢)

وفي مقابل التعبير عن السعادة أو الفرح بالتحليق والطيران والسماح لخفة الجسد من السرور بالتعبير عنها نجد في التعبير عن السعادة في النصوص الدينية تكون بكبح جماح هذه المشاعر وحسن إدارتها وتصريفها يتمثل فيها العقل وزيرا يأمر وينهى؛ كما يتمثل لنا ذلك في قول الغزالي في كتابه الموسوم بعنوان كيمياء السعادة: " فإذا أراد أن يؤدي حق هذه النعمة، **جلس مثل السلطان في صدر مملكته**، وجعل الحضرة الإلهية قبلته ومقصده، وجعل الآخرة وطنه وقراره، والنفس مركبه، والدنيا منزله، واليدين والقدمين خدامه، والعقل وزيره، والشهوة عامله، والغضب شحنته، والحواس جواسيسه. وكل واحد موكل بعالم من العوالم يجمع له أحوال العوالم. وقوة الخيال في مقدم الدماغ كالنقيب يجمع عنده أخبار الجواسيس، وقوة الحفظ في وسط الدماغ مثل صاحب الخريطة يجمع الرقاع من يد النقيب ويحتفظها إلى أن يعرضها على العقل. فإذا بلغت

هذه الأخبار إلى الوزير يرى أحوال المملكة على مقتضاها.فإذا رأيت واحداً منهم قد عصى عليك، مثل الشهوة والغضب، فعليك بالمجاهدة، ولا تقصد قتلهما؛ لأن المملكة لا تستقر إلا بهما.**فإذا فعلت ذلك كنت سعيداً**، وأديت حق النعمة، ووجبت لك الخلعة في وقتها، وإلا كنت شقياً، ووجب عليك النكال والعقوبة"[٢٣]

وهكذا نرى في التعبير المقابل لانطلاق السعادة بالجسد إلى الأعلى ارتفاعا في مدراج البهجة دون قيود أو موانع فيه المجال المصدر متحررا من كل قيد ومتحركا الجسد فيه نحو الأعلى؛ نجد تمثيل السعادة في كلام الغزالي مقيّدا بقيود السلطان ملكا والعقل وزيرا في بُعد تشخيصي يتحكم في إدارة الشهوات والغضب في حضرة الإله حتى يبلغ الإنسان السعادة.

ويُبنى مفهوم السعادة استنادا إلى تجربة الطعام: (السعادة طعام لذيذ/الشقاء طعام مرّ) وهنا يكون تصوير السعادة بمفاهيم وعلاقات مستمدة من مجال الطعام والشراب فالسعادة دائما طعام حلو شهي، أو شراب لذيذ المذاق، في مقابل الشقاء طعام كريه شديد المرارة وربما كان محرقا.

ووصف حلاوة مذاق السعادة في اللغة العربية كثيرا ما يكون في سياق قصر السعادة على قوة الإيمان: "ومن **ذاق طعم الإيمان ذاق حلاوة السعادة**"[٢٤] وهنا يحدد القائل حلاوة مذاق طعم السعادة الذي لا يناله إلا من تذوق طعم الإيمان بالله.

يقول وحيد خيون:

فإذا ما أصبَحوا لا سَمَحَ الرحمانُ قادة

لن تذوقوا أبداً طعمَ السّعادة[٢٥]

ويقال: "تذوقت مرارة الشقاء" "تجرعت مرارة الحزن" وفي سياق مرارة الشقاء أيضا "مرارة الفقر" وحلاوة الغنى" والشقاء (جوع) والسعادة (شبع) حيث يستعمل مفهوم السعادة للتعبير: عن حالة الإشباع التام للحاجات الطبيعية عند الإنسان.[٢٦]

إن حالة الإشباع في تمثيل مفهوم السعادة ليست فقط في إشباع الحاجة للطعام؛ ولكن أيضا إشباع كل الحاجات الطبيعية؛ ومنها الحاجة لامتلاك المال الذي يكون وسيلة لتوفير بعض الاحتياجات. من ذلك في وصف اقتصار السعادة على الإيمان وتمثيل هذا الإيمان بما يمتلكه الإنسان من أمور مادية كالرصيد المالي أو العقارات المعمورة._"إن **سر سعادة الإنسان هو رصيد ما في قلبه من إيمان**...واسمع إلى تلك الكلمة الخالدة

التي خرجت من قلب **معمور بالإيمان** إنه قلب الرجل الصالح إبراهيم بن أدهم رحمه الله: "لو علم الملوك ما نحن عليه –أي من **حلاوة الإيمان**– لقاتلونا عليه بالسيوف"[٢٧] ونرى في المقولة السابقة كيف تتعالقُ الصور منبثقةً من أنساق العقل البشري في تصور التجربة البشرية الحسية؛ تظهر فيها صورة الامتلاك المادي للمال والعقارات والذوق لحلاوة الطعام ثم صورة الحرب التي تجعل الآخرين يقاتلونهم على امتلاكها.

وقد تكون الصورة التي يمثل بها السعادة مستمدة من السائل شرابا أو يكون هذا السائل في إناء، هذا الإناء هو القلب يمتلئ بالسعادة وقد يفيض بها وربما غمر الجسد كله هذه السائل: "الرضا بهجة ونعمة وراحة وطمأنينة، وسعادة وسكينة، فمن **امتلأ قلبه رضا** غمر الحب والقناعة قلبه وتفكيره، فنعمة الرضا نعمة عظيمة يمن الله على من يشاء من عباده **فيفيض هذا الرضا سعادة ونورا وبهجة وسرورا** وراحة بال"[٢٨]

وهذا النوع من الاستعارات يسمى (استعارات الوعاء)[٢٩] الذي يستمد صورته من أن الإنسان كائن فيزيائي محدود داخل هذا العالم ومعزول يفصله عن بقية العالم الخارجي مساحة جلده، وهو وعاء له مساحة محدودة قد تمتلئ أو تفرغ أو قد تفيض بما فيها.

يقول إلياس أبو شبكة:

"**كُنتِ مَلأى مِن السَعادَةِ** حَتّى خِلتِ أَن لَيسَ في الوَرى آلامٌ

وتقول فدوى طوقان:

على شفتي تمتمات عباده

وهمس صلاة

وفيض سعادة

يفيض على حاضري موجها

ويغمر مستقبلي

أما السعادة في اللغة العربية المعاصرة فقد ظهرت لها تعبيرات ذات سمات استعارية خاصة. ظهرت لنا في التعبيرات المتعلقة السعادة في اللغة العربية المعاصرة سمات استعارية خاصة مختلفة عن الاستعارات التي سبق ذكرها، وذلك بإبداع صور استعارية جديدة لتمثيل مفهوم السعادة مستمدا من تجارب حديثة مثل: (السعادة/صناعة) أو (السعادة/فن) أو (السعادة/تقنية). من ذلك قولهم:" لا يكفي أن نعيش وكأننا في رحلة بحث دائمة عن السعادة، لأنها ليست كنزاً يمكن العثور عليه في مغارات تشبه مغارة

علي بابا أو في أعماق المحيطات، إن السعادة هي من صنعنا نحن، يكفي أن نعرف كيف نخلقها بأفكارنا."[٣٠] وفي عنوان مقال في جريدة اليوم: "آباء أنانيون ومخفقون في صناعة السعادة"[٣١].وفي عناوين المؤلفات والبرامج التلفزيونية مثل: "فنون السعادة" "فن السعادة" "فن السعادة الزوجية" "تقنيات السعادة والتفوق الشخصي".

إن إبداع الصور الاستعارية الجديدة المتعلقة بصناعة السعادة وتقنياتها تنطلق من التجربة الحسية للإنسان المعاصر وتطور الصناعات وتقنياتها ونستطيع أن نعرّف التقنية بأنها مجموعة العمليات والإجراءات المحددة تحديدا دقيقا، التي تهدف إلى تحقيق النتائج النافعة وهذه العمليات قابلة للنقل والتحويل.[٣٢] ونلاحظ أن التعبير عن السعادة في اللغة العربية المعاصرة تتحول فيها الاستعارة من فعل أشياء خارجية تؤثر في الإنسان وتدخل في قلبه السرور أو ينطلق هو باحثا عنها إلى تقنيات تُصنع بطريقة ذاتية من داخل الإنسان أو تكون بطريقة فنية جمالية إبداعية من داخل الإنسان أيضا. وبذلك ظهرت لنا تعبيرات من قبيل: "نبحث عن السعادة بعيدا وهي موجودة في داخلنا". وهكذا نجد أن الاستعارات اللغوية تبدع متشابهات جديدة وبذلك تخلق المعنى جديدا.

خاتمـــــــــة:

إن التعبير عن السعادة بطريقة استعارية ليس مجرد طريقة جمالية للتعبير، وإنما هي الوسيلة الوحيدة المتاحة للتعبير باللغة عن مفهوم السعادة باستخدام مجالات أخرى محسوسة. وقد تكون صناعة مفاهيم جديدة أو إعادة تشكيل مفاهيم قديمة من طريق صنع تمثيلات استعارية أو إبداعها من العالم الفيزيائي المحيط بالإنسان في اللغات والثقافات المختلفة وبذلك تختلف كل لغة في تصويرها للمفاهيم المختلفة بحسب اختلاف البيئة التي تعيش فيها تلك اللغة. وإن كان يبدو لنا مع الانفتاح العالمي على الثقافات المختلفة يجعلنا نعتقد أن كل اللغات تعبر عن المفاهيم بطريقة موحدة.

النتائج:

يتضح لنا أن التمثيل الاستعاري للسعادة في اللغة العربية من خلال الأمثلة التي رصدناها مايلي:

١- أن السعادة في اللغة العربية يعبّر عنها في نسق منسجم من الاستعارات الاتجاهية استنادا إلى تجربة العلا: السعادة فوق/الشقاء تحت. أو مكان أو طريق إلى هذا المكان أو رحلة في نسق منسجم من الاستعارات المترابطة التي قد تتمثل في صورة السعادة قوة جسدية تدفع الجسد للحركة نحو الأعلى.

٢- يعبر عن السعادة أيضا استنادا إلى تجربة الظلام والنور؛ فالسعادة نور/الشقاء ظلام. أو استنادا إلى حاسة تذوق الطعام والشراب؛ فالسعادة طعام أو شراب حلو/ والشقاء طعام أو شراب شديد المرارة. وتشخيص السعادة يتمثل في صورة إنسان له ميلاد وموت، وقد يبتسم أو يضحك.

٣- ترتبط الاستعارات المتعلقة بالسعادة في اللغة العربية الحديثة بمجالات مستمدة من الثقافة الحديثة عند العرب نحو : (تقنيات، وفنون، وصناعة).

٤- أن استعارات السعادة في اللغة العربية ليست مرتبطة بألفاظ اللغة فقط ولكن التفكير البشري حول السعادة محدد استعاريا. وما نطلق عليه في المعجميات اسم (تعدد المعنى) أو (المشترك اللفظي) للكلمة الواحدة ليس إلا تعبيرات استعارية تتشكل في هيكلة من المفاهيم المختلفة كما اتضح لنا ذلك عند البحث في مادتي (س ع د) و (ب ه ج) ويمكننا بذلك ترتيب المعجم اللغوي ترتيبا جديدا حسب الاطارات المفاهيمية لهذه الكلمات من أجل بناء معجم سهل

الاستخدام يعكس الهيكل المفاهيمي للكلمات في العقل البشري. [٣٣] ولايكون المعجم بذلك لائحة لمعاني الكلمات فقط وإنما مصدرا للمعطيات التي يمكن أن تقودنا إلى مبادئ عامة لفهم اللغة، وأنسقة كاملة من التصورات التي تقتضي فهم تجربة من خلال تجربة أخرى.

وتقودنا هذه النتائج إلى أن بناء المعنى نابع من التجربة الإنسانية، وأولها تجربتنا الجسدية. ويمكننا باستخدام هذه التطبيقات تقديم إضافات مهمة يمكن أن تستثمر في المشاريع البحثية اللسانية العربية منها:

- المظاهر الإدراكية في التعبير عن المشاعر في اللغة العربية.
- الأبعاد الإدراكية في التعبير عن الأخلاق في اللغة العربية.
- الاستعارات الإدراكية في الخطاب السياسي.

الهوامش:

١. يُنظر: الهلالي محمد، ولرزق، السعادة، (دار توبقال، الدار البيضاء، ٢٠١٣م، ط١)، ص٦.
٢. ينظر لايكوف، جورج& جونسن، مارك، الاستعارات التي نحيا بها، د.ت. عبد المجيد جحفة، (دار توبقال، الدار البيضاء. ٢٠٠٩م، ط٢). ص٣٤
٣. يُنظر: Geeraerts; Dirk (٢٠٠٦) Cognitive linguistics: basic readings, Selignow Verlagsservice, Berlin,p.٥
٤. يُنظر: Dirven; René,(٢٠٠٤) Cognitive exploration of language and linguistics, John Benjamins Publishing Company,Amsterdam,p.٥ /Philadelphia
٥. يُنظر Evans: Vyvyan & Green: Melanie(٢٠٠٦) Cognitive Linguistics: An - introductions, Edinburgh University Press Ltd, p.١٦
٦. يُنظر: الثميري، عادل (السبت، أبريل ١٧، ٢٠١٠)، اللسانيات الإدراكية، تكست، /http://textbasrah١٥.blogspot.com
٧. يُنظر: الزناد، الأزهر ، نظريات لسانية عرفنية، (الدار العربية للعلوم ناشرون، مشورات الاختلاف،٢٠١٠م) ص٢٧
٨. يُنظر: محسب :محي الدين: "منهجية دراسة الاستعارة من الأساس اللغوي إلى التأسيس الإدراكي" بحث منشور في كتاب: الندوة العلمية الدولية (قضايا المنهج في الدراسات اللغوية والأدبية: النظرية والتطبيق. في الفترة من ٢١- ١٤٣١/٣/٢٤هـ الموافق ٧- ٢٠١٠/٣/١٠م. ص٦٢٩
٩. القلقشندي، أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،(دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ)،ج٣٤٦/١٠.
١٠. السابق، ١٧/١١
١١. السعادة ،ص٦.
١٢. المقري، أحمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس(دار صادر،بيروت ، لبنان، ١٩٨٦م) ٢٨٣/٦
١٣. الشريف، سليمان ، الجزيرة الثقافية، الخميس ٢٩ ،محرم ١٤٣٤ العدد ٣٨٩
١٤. يقول جورج لايكوف ومارك جونسون ص٣٤: "وهذه الاستعارات الاتجاهية تعطي للتصورات توجها فضائيا، كما في التصور التالي : السعادة فوق. فكون تصور السعادة موجها إلى أعلى هو الذي يبرر وجود تعابير من قبيل: أحس أنني في القمة اليوم، إنني في قمة السعادة، لقد رفع من معنوياتي، التفكير فيها يرميني في الهاوية، أحس وكأنني أهوي، إنه في الحضيض هذه الأيام، إنني منهار، لقد سقطت فيما لا تحمد عقباه، إنه يغوص في الشقاء. والمرتكزات الفيزيائية لهذا

التصور: ترتبط وضعية السقوط بالشقاء والانهيار وترتبط وضعية الانتصاب بحالة عاطفية إيجابية"

١٥. ابن منظور، محمد، لسان العرب،(دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ)، ج٣،ص٢١٥، مادة (س ع د)

١٦. الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح. طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، (المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م)، ج٢، ص٢٦٧

١٧. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٠هـ)، تح. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م)، ج٣،ص٣٩٤.

١٨. ابن سيده (٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تح. عبد الحميد هنداوي،(دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ط١)، ج٤،ص١٧٤

١٩. نفح الطيب،٢٧٣/٦

٢٠. المنفلوطي، مصطفى لطفي، العبرات، (دار الهدى الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،١٣٤٣ه) ص١١

٢١. صبح الاعشى، ٩٥/٢

٢٢. يُنظر: الاستعارات التي نحيا بها، ص٥٤

٢٣. الغزالي، أبو حامد ٥٠٥هـ، كيمياء السعادة، تح. نجاح عوض، المقطم للنشر، ٢٠١٠م، ص٣٠

٢٤. القاسم، عبد المحسن ، خطوات إلى السعادة، (دار القاسم، دت.) ص٨.

٢٥. م.أ

٢٦. يُنظر: السعادة، ص١٠

٢٧. المهدي، حسين بن محمد ، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال،(وزارة الثقافة، دار الكتاب، ٢٠٠٩م)، ص١٥٨

٢٨. السابق: ص ٢٩٥

٢٩. الاستعارات التي نحيا بها، ص٤٩

٣٠. ملال، يمان ، صناعة السعادة، دار يقين، يناير-٢٣- ٢٠١٤م. (/http://www.yakinepress.com)

٣١. السليم، وليد ، آباء أنانيون ومخفقون في صناعة السعادة، صحيفة اليوم، الثلاثاء ١٥ إبريل ٢٠١٤ ع ١٤٩١٤

٣٢. يُنظر: لالاند، أندريه ،موسوعة لالاند الفلسفية، (منشورات عويدات، باريس، ص١٠٩)

٣٣. يُنظر: Zoltán Kövecses & Szilvia Csábi, Lexicography and cognitive linguistics, Revista Española de Lingüística Aplicada ٢٧:١ (٢٠١٤), ١١٨–١٣٩

المراجع:

مراجع عربية:

١. ابن سيده (٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تح. عبد الحميد هنداوي،(دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ط١).

٢. الجزري، ابن الأثير (٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح. طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، (المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م).

٣. السليم، وليد ، آباء أنانيون ومخفقون في صناعة السعادة، صحيفة اليوم، الثلاثاء ١٥ إبريل ٢٠١٤ ع ١٤٩١٤

٤. الشريف، سليمان ، الجزيرة الثقافية، الخميس ٢٩ ،محرم ١٤٣٤ العدد ٣٨٩

٥. الغزالي، أبو حامد ٥٠٥هـ، كيمياء السعادة، تح. نجاح عوض، المقطم للنشر، ٢٠١٠م

٦. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٠هـ)، تح. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م).

٧. القاسم، عبد المحسن ، خطوات إلى السعادة، (دار القاسم، دت.).

٨. القلقشندي، أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء،(دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ)

٩. المقري، أحمد بن محمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس(دار صادر،بيروت ، لبنان، ١٩٨٦م).

١٠. المنفلوطي، مصطفى لطفي، العبرات، (دار الهدى الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،١٣٤٣ه).

١١. المهدي، حسين بن محمد ، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال،(وزارة الثقافة، دار الكتاب، ٢٠٠٩م).

١٢. لايكوف، جورج& جونسن: مارك، الاستعارات التي نحيا بها، ت. عبد المجيد جحفة، (دار توبقال، الدار البيضاء. ٢٠٠٩م، ط٢).

١٣. الشميري، عادل (السبت، أبريل ١٧، ٢٠١٠)، تكست – اللسانيات الإدراكية، /http://textbasrah١٥.blogspot.com

١٤. الزناد، الأزهر ، نظريات لسانية عرفنية، (الدار العربية للعلوم ناشرون، مشورات الاختلاف،٢٠١٠م).

١٥. لالاند، أندريه ،موسوعة لالاند الفلسفية، (منشورات عويدات، باريس)

١٦. الهلالي محمد، ولرزق عزيز، السعادة، (دار توبقال، الدار البيضاء، ٢٠١٣م، ط١).
١٧. محسب :محي الدين: "منهجية دراسة الاستعارة من الأساس اللغوي إلى التأسيس الإدراكي" بحث منشور في كتاب: الندوة العلمية الدولية (قضايا المنهج في الدراسات اللغوية والأدبية: النظرية والتطبيق. في الفترة من ٢١- ١٤٣١/٣/٢٤هـ الموافق ٧- ٢٠١٠/٣/١٠م.
١٨. ابن منظور، محمد، لسان العرب،(دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ)
١٩. املال، يمان ، صناعة السعادة، يقين، يناير-٢٣- ٢٠١٤م. (/http://www.yakinepress.com)

مراجع أجنبية:

- Zoltán Kövecses & Szilvia Csábi, Lexicography and cognitive linguistics, Revista Española de Lingüística Aplicada.

Geeraerts; Dirk (٢٠٠٦) Cognitive linguistics: basic readings, Selignow

– Verlagsservice, Berlin.

- Dirven; René,(٢٠٠٤) Cognitive exploration of language and linguistics, John Benjamins Publishing Company,Amsterdam.

- Evans: Vyvyan & Green: Melanie(٢٠٠٦) Cognitive Linguistics: An introductions, Edinburgh University Press Ltd

مراجع الكترونية:

١- (/http://www.yakinepress.com)
٢- (/http://textbasrah١٥.blogspot.com)
٣- (/http://www.adab.com)